Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حتى الزَّرافَه جاءتها متْحَسَّـــرَه
تبكى على الفيل الّلى ماتْ فى القَنْطَـــرهْ

وما من ريب فى أن هذا الزجال كانت لديه روح فكهة خفيفة كما كانت لديه لفتات ذهن بديعة، وقـد ظهـرت هـذه اللفتـات فـى تصويـره لـزوج الفيـل الهندية وما كان من لطمها "بودانها" كمـا ظهـرت فـى استغلاله لما عـرف مـن صمت الزرافة وما يبدو عليها من تأمل وحزن وكأنما أفلـت منهـا شئ، ولذلـك جاء بها هنا لتسعد الفيلة فى بكائها.

ونحن لا نمضى فى عصر المماليك إلى القرن التاسع الهجرى حتى نلتقى بأكبر شخصية فكهة، ونقصد شخصية ابن سودون. ويظهر مما ترجم لـه السخاوى أنه بدأ حياته جادًّا فى تحصيل العلوم والفنون المعروفة لعصره وقد وُظِّفَ إماماً ببعض المساجد، ولكنه سرعان ما تعلق بالهزل والخلاعـة فـراج أمـره وطار اسمه وتنافس الظرفاء فى تحصيل شعره.

وقد ترك ابن سودون ديواناً طريفاً سماه «نزهة النفوس ومضحك العبوس» —سيمرّ بنا—وواضح من هذا الاسم أنه ملأه بالدعابة والفكاهة، وهو نفسه يقول فى مقدمته إنه "يشتمل على أنواع من الأقـاويل الهزليـات" وفيـه خمسـة أبـواب: الباب الأول فى القصـائد والتصـاديق، والبـاب الثـانى فـى الحكايـات الملافيـق، والباب الثالث فـى الموشـحات الهباليـة، والبـاب الرابـع فـى الدوبيـت والزجـل وأنواع من المواليا، والباب الخامس فى الطرف العجيبة والتحف الغريبة..

وإذن ففى هزليات ابن سودون بابان نثر خالص وهما: الحكايـات الملافيـق والطـرف العجيبـة، والأبـواب الثلاثـة الباقيـة شـعر خـالص، وقـد بدأهـا بـبـاب القصائد والتصاديق، وهو يريد بالتصاديق ما يتقدم به بعض قصائده من مقدمات نثرية تشبه ما نعرفه عن المقامات إلا أنها قصيرة. أمـا قصـائده فتمتـاز بأنـه يعنـى